

مصر في شعر الجواهري ومذكراته (دراسة تاريخية)

المدرس

أحمد بهاء عبد الرزاق

الاستاذ المساعد الدكتور

مقدام عبد الحسن الفياض

جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

المقدمة

أنجبت مدينة النجف الاشرف عدداً من أعلام اللغة العربية والشعر العربي في العصر الحديث ، أفذاذاً تجاوزت شهرتهم نطاق مدينتهم ووطنهم ومحيطهم الإقليمي لتنتشر وتحتوي هموم أمته بل الانسانية جمعاء . وكان في مقدمة أولئك (محمد مهدي الجواهري) الذي تربّع عن استحقاق مكان الصدارة في الشعر العربي المعاصر ، وانتزع لقب شاعر العرب الأكبر ولا يمكن ان نختصر الحديث عن الجواهري في بحث واحد أو كتاب أو أطروحة جامعية على أهميتها لما قدمه هذا الرجل من ابداعات ادبية وصل صداها الى كل اصقاع الارض لمدة قاربت سبعة عقود من الزمان على الرغم من ان تلك الحقبة الزمنية الممتدة بين عامي ١٩٢١ تاريخ نشر اول قصيدة له الصحف الرسمية ولغاية وفاته عام ١٩٩٧ كانت تزخر بوجود عمالقة الادب والشعر العربي كأحمد شوقي و معروف الرصافي وغيرهم كثير ، لكن الجواهري استطاع أن ينشئ له مكانة مرموقة بين هؤلاء المبدعين ، وبقي كوكباً شعرياً محلقاً في سماء الفن والادب والتاريخ . فقد امتلك الجواهري شاعرية متدفقة تصدر عن نبع صافٍ يفديها معجم لغوي مترامي الاطراف بمفردات قديمة حديثة .

ولا ريب أن الجواهري إنساني النزعة لم يقف بإبداعه عند الحدود الوطنية وانما اتسع شعره لكل بني البشر وجسد صورة التجربة الشعرية الانسانية الشمولية ، واستخدم كل أنواع فنون الشعر من الفكاهة والنقد اللاذع والمديح وغير ذلك ليصور ألم الانسان وتعاسته وشقائه ويدعو الى وئامه وتآخيه ويحث الشعوب على الثورة ضد طغاتها ومستعبدتها من الحكام . ويمكن القول أن من اهم اسباب شهرته وذيع صيته هو انفتاحه على العالم بكل اديانه وطوائفه وقومياته ومتابعته الدائمة لكل ما يجري من احداث وعلى كافة الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، محلياً وعربياً واقليمياً .

وعلى الرغم من ذلك فقد شغلت الشعوب العربية واقطارها وهمومها مساحة مميزة من شعر الجواهري ، لا سيما مصر في قصائد عديدة ، فقد كتب عن مصر وهو يحب مصر شؤناً وتمخضاتاً وتفاعلاً بواعثاً ثقافية وسياسية مختلفة ، في قصائد عصماء لم يتمكن أن يأتي مبثّل روعتها وعذوبتها أحد من شعراء العربية حتى المصريين منهم . وقد كانت له زيارات خاصة ورسمية وغيرها، حفل بها "السجل

مصري في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

المصري" للجواهري الكبير ، وتشعب إلى أكثر من محور، ومكان، وزمان . وقد تفلح سطور هذا البحث أن تستجلي بعض المحطات الأكثر أهمية في ذلك السجل .

أولاً / لمحات موجزة من سيرة الجواهري :

سبع وعشرون سنة قضاها محمد مهدي بن عبد الحسين بن عبد علي الجواهري في النجف الاشرف منذ ولادته فيها حوالي عام ١٩٠٠ بين أسرة دينية وعلمية محافظة ، وترعرع في وسط مدينته التي كانت وما زالت إحدى معقل العلوم الاسلامية وقلعة من قلاع الشعر والادب . وبين أروقتها كتب قصائده الاولى التي انتشرت في الصحف وأثارت الاصداء ، وبدأ منذ عام ١٩٢٧ الشاعر رحيله عنها ليبدأ حياة حافلة بالتنقل والترحال والإثارة من مدينة الى أخرى داخل وطنه وخارجه^(١).

عمل معلماً في المدارس الابتدائية ثم مدرساً في المدارس الثانوية في بغداد ، وموظفاً في قسم التشريفات بالبلاط الملكي بين عامي ١٩٢٧-١٩٣٠ ، وكان يُنقل قسراً من مدرسة الى أخرى ومن مدينة لأخرى بسبب قصائد ينشرها عدتها الحكومة إساءة للنظام وتجريحاً بالوضع القائم . وفي منتصف العام ١٩٣٠ خرج الجواهري من البلاط واستقال من التعليم ليدخل ميدان الصحافة ويتصل بشكل أكثر برجال السياسة والمعارضة والاطراف التقدمية^(٢) .

وأصدر صحفاً كثيرة ومهمة منها (الفرات ١٩٣٠) (الانقلاب ١٩٣٦) ، (الرأي العام) وجرائد أخرى^(٣) أغلقت معظمها بسبب حملاته الجريئة على السياسيين ولهجته المتحدية لسياسة بلاده المتحالفة مع بريطانيا^(٤) .

وأدرك الجواهري من خلال الحقبة التي قضاها مع الساسة العراقيين من النخبة الأولى للحكم الوطني في العراق، ومن خلال اشتغاله في البلاط الملكي، فضلاً عن احتكاكه المباشر وغير المباشر بالوزارات التي تعاقبت على البلاد، اذ تراكمت عنده خلفية سياسية يستطيع فيها أن يمارس دوره على الصعيدين السياسي والصحفي^(٥) .

احتل الجواهري بقوة شخصيته وروعة شعره مكانة مرموقة في صفوف المعارضة الوطنية ، وانتهج في غالب الأحيان خط المقارع للفئة الحاكمة . وتشير بعض المعالجات الاجتماعية في شعره إلى أنه تعاطف مع عناصر التيار الماركسي وأيد طروحاتهم بل وتبناها أحياناً متأثراً بمصادر الفلسفة المادية . فأخذت قصائده الوطنية تذاع على أوسع نطاق في وطنه العراق ، وفي الأوساط ذات النزعة الاشتراكية خصوصاً وفي العالم العربي عموماً . كان من مؤسسي حزب الاتحاد الوطني ١٩٤٦ ونائباً في البرلمان ١٩٤٧^(٦) ، وكان أحد مناصري ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ لستين فقط ، سافر بعدها الى براغ عاصمة جيکوسلوفاكيا بسبب الخلافات مع نظام عبد الكريم قاسم ليقیم هناك مدة سبع سنوات ثم رجع الى وطنه عام ١٩٦٨ ليقیم فيه حتى عام ١٩٨٠ إذ هاجر ولجأ الى سوريا هذه المرة حتى وفاته عام ١٩٩٧ بسبب معارضته للنظام الحاكم الجديد^(٧) .

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

لقد كان للجواهري رغبة شخصية جاححة في الوقوف الى جانب الاقطار العربية التي ما زالت حتى عقد الثلاثينات تأن تحت وطأة الهيمنة الاستعمارية أو الخاضعة لأنظمة " رجعية استبدادية " ؛ إذ شكلت تلك القضايا منطلقاً خصباً لنظم قصائده وكان يذكر ذلك بكل فخر واعتزاز في مذكراته إذ يقول :-

" ألقيت كل ما أشتهي من قصائدي التي أذعتها فعلاً من الاذاعة تلك [يقصد الاذاعة البريطانية] ، وعلى الملأ وبخاصة تلك القصائد المناهضة للاستعمار والنفوذ الاجنبي في كل الارض العربية وفي وطني العراق بالذات وضد بريطانيا وضد كل من يتعاون معها من الحاكمن ، والقصائد هذه كلها معروفة ومنشورة وشائعة بين الجماهير بل ومحفوظة في ملفات الاذاعة البريطانية نفسها " (٨) .

ثانياً / اهتماماته الاولى بالقضية المصرية :

وقد مثلت القضايا العربية وهموم العروبة وفي مقدمتها مصر احدى المحطات المهمة في حياة الفتى العراقي الشاعر ، الآتي من أزقة النجف الاشرف الضيقة بفضاءاتها ، الواسعة الرحبة بأفاقها الفكرية ومناهلها العلمية العذبة ، المتذوقة لفنون الشعر والادب ، الأصيلة غالباً في نتاجات مبدعيها .
وقد تحولت مصر بما تمتلكه من تاريخ مجيد ومنجزات وفيرة في مضمار الحضارة الانسانية الى مصدر إلهام خصب للجواهري ، ومعيناً لا ينضب لقصائده الغرر ومجموعاته الشعرية منذ فترة مبكرة من دخوله ميدان هذا الفن .

وفي أول إشارة مسجلة رصدها الباحثان وثق فيها الشاعر مشاعره الجياشة نحو مصر وتعاطفه الشديد مع نضالها ضد الوجود البريطاني ودعوة اخوته العراقيين للتعاون مع أشقائهم المصريين ، وكانت على شكل رسالة حملها أمين الريحاني الذي زار النجف أواخر عام ١٩٢٢ قال فيها :

إقرأ على "مصر" السلام وقل لها	حيّ ربّاك روائح وغوادي
لا توحشي دار الرشيد فإنها	وقف على الإبراق والارعاد
وتصافحي بيد الإخاء فهذه	كف العراق تمدّ جبل وداد
لا ترهبنك قسوة من غاصب	عات فإن الحق بالمرصاد
أو تنكروا مني حماسة شاعر	فالقوم قومي والبلاد بلادي (٩)

ومن الجدير ذكره ان الريحاني قد تنكّر على أشد ما يكون النكران للجواهري في كتابه (قلب العراق) متحاملاً عليه زاعماً بأنه " فارسياً ينظم الشعر " وقد ردّ عليه الأول في الجريدة التي كان يرأس تحريرها بإسم (الانقلاب) الصادرة ببغداد في عهد وزارة حكمت سليمان على أثر انقلاب قاده الفريق بكر صدقي عام ١٩٣٦ . وقد اتهمه بالكذب والافتراء والتشويه لتاريخ العراق المعاصر في ضوء ارتباطه المشبوه بالمخابرات البريطانية لاسيما انتصاره لسطاع الحصري الذي قال عنه الجواهري بأنه هو من أذكي الفتنة الطائفية في هذا البلد (٩) ، لاجتهاداته البعيدة عن الواقع والقرينة من التحيز والعصبية القومية (١٠) .

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

وقد كانت صورة "الوطن العربي" الكبير واضحة في ذهنية الشاعر على الرغم من انه لم يصرح بذلك ولم يكن قومياً البتة . ففي بعض قصائده نلمس بشكل لا يقبل الشك نظرته الشاملة الى أمة العرب بوصفها جماعة تاريخية واحدة تعيش على أرض مشتركة وتتكلم لغة واحدة وتمتلك متطلبات الوحدة الاقتصادية والرؤية المستقبلية المتقاربة لمصيرها وتطلعات أبنائها ومصالحهم^(١) . ونجد لذلك تعبيراً ثابتاً في قصيدته " الشباب المر " التي نظمها عام ١٩٢٢ وأكد فيها ان الأرض العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعضها ببعض الآخر وان ما يصيب إحداها يطال الاخرى :-

يا مهبط الرسل الدعاة الى الهدى علياً بنيك عن العلى ما عاقها
زحفت بمدرجة الخطوب فقاتها شأو المجد من الشعوب وفاقها
لحقت فلسطين بأندلس أسأ والشام ساوت مصرها وعراقها
مهضومة من ذا يرد حقوقها وأسيرة من ذا يفك وثاقها^(٧)

ولم يعترض الجواهري على الوحدة العربية بوصفها هدفاً سامياً ومبدأً جميلاً من مبادئ كل عربي في الصميم ، بل انتقد الآليات والمسارات التي تسلكها بعض الاحزاب السياسية التي هاجمها بعنف لأنها تتاجر بهذا المفهوم لكي تتسلق على أكتاف الجماهير مع انها فشلت منذ نصف قرن في التطبيق لأنها ببساطة لا تمتلك الاستعداد الكافي له . ومن قصيدة ألقاها بمناسبة مهرجان الشعر العربي ببغداد في شهر نيسان عام ١٩٦٩ قال:

دعوا الى الوحدة الكبرى فقلت لهم نذرٌ لذلك مني الروح والجسدُ
خمسین ضلّت أناغيها كما نعم أم الوليد يناغي عندها الولد
ولا مباهاة ، أهلي كلهم رضع منها اللبان ، وفي أحشائها لحدوا
فان سألت فعز شهق لم عدها كعاطشٍ ستغمره دأ فلا يجد^(٨)

وقد سخر الجواهري من دعوة ساسة الدول العربية الى الوحدة وهم في الوقت نفسه يهملون قضاياهم المصرية ويتركون بلادهم نهياً بيد المستعمرين أو القوى الغربية المختلفة ويتجحون بشعارات وحدوية بينما هم يستخدمونها أداةً للتركيب بشعوبهم وقمعها وقتل أحرارها ، وهذه المفاهيم ضمنها في قصيدة عصماء ألقاها بمناسبة المؤتمر التضامني مع الشعوب الآسوية والافريقية يوم ٢٨ آذار ١٩٧٤ :

وما يدعى "فلسطيناً" مراح متى شئنا ، وشاءت مستطابُ
وهل هي غير أرضٍ واستبيحت فأرض الله واسعة نهاب
وهل سيناء غير مهيل رمل تعيث به الافاعي والذئاب
وفي الجولان من دم كل حر يباع ويشتري مسكٌ ملاب^(٩)

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

كان الجواهري مُحِباً للسفر خارج بلده والاطلاع على تجارب الامم والشعوب والتزود بمعرفة أوسع عن ثقافاتنا المختلفة وطرق عيشها وتفكيرها وتكوينها الفعلي ، شغوفاً بالتعرف على ذلك التنوع الانساني ، كارهاً للانغلاق والتقوقع في محيطه ومجتمعه ، لذا فقد زار ايران وسوريا ولبنان وعدداً من دول اوربا الشرقية الاشتراكية مثل جيکوسلوفاكيا^(١٢) . وقد حرص منذ البداية أن يكون صوته مسموعاً في بعض البلدان العربية ... " ان طموحي تعدى حدود العراق فصرت أرسل قصائدي الى مجلة العرفان في صيدا (لبنان) وكان صاحبها أحمد عارف الزين والى مجلة الهلال في مصر " ^(١٣) .

ثالثاً / أدباء مصر ومفكرها في شعر الجواهري :

لقد كان الجواهري يُكن إعجاباً كبيراً بشعراء مصر ومفكرها المعاصرين لاسيما احمد شوقي^(١٤) وحافظ ابراهيم^(١٥) ، واعترف لهما بالبدئية الشعرية السريعة والاحتراف الموهوب واللسان الوطني الصادق ، والتقى معهم على مقارعة الاستعمار ومقاومة الهيمنة الأجنبية ومحاولة النهوض بالشعوب العربية ورص صفوفها^(١٦)

ونظم قصيدة في وفاة حافظ ابراهيم عام ١٩٣٢ :

مشى بمصر فلم يعثر بها ورمى	مُحتلٌ مصر فلم يُخطئه مرماه
قد يوسع الأمر تفصيلاً يُحتمه	حالٌ وقد يكتفي عنه بفحواه
وقد يجيء بما لم يجز في خلدٍ	وقد يقول الذي لم تهوِ إلاه
يا ابن الكنانة ماذا انت مشتمل	عليه مما سطا موتٌ فغطاه
ستون عاماً أرتك الناس كُنْهُمْ	والدهر جوهره والعمر مغزاه ^(١٢)

وفي احمد شوقي ألقى الشاعر قصيدة يوم ١١ تشرين الثاني ١٩٣٢ بمناسبة الحفل التأييني للمقام لوفاته ببغداد :

طوى الموت ربّ القوافي الغررُ	وأصبح "شوقي" رهين الحفر
وألقي ذات التراث العظيم	لثقل التراب وضغط الحجر
"شكسبير" أمتُه لم يُصبه	بالعي داء ولا بالحصر
كأن عيون القوافي الحسا	ن من قبل كانت له تُدخِر ^(١٣)

وفي قصيدة أخرى لهذا الغرض نظمها حذف عام ١٩٢٥ حملت عنوان "شوقي وحافظ" ضمّنها تقريراً صريحاً بالشاعرين اللذين لا يستحق سواهما - في نظره - الجلوس على عرش الشعر العربي بما أوتيا من البراعة الفنية والحذاقة المنقطعة النظير الى درجة تؤهلها لنيل المكانة الأسمى في تاريخه كما انه شكا اليهما شيئاً من آلامه وتعلمه ممن حسبوا انفسهم على الادب وهم متملقون لاسيادهم الساسة ، قد

مصري في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

باعوا ضمائرهم وتحولوا الى أبواق اعلامية يعرضون أديهم كما تعرض السلع الاخرى في الاسواق " عاراً أرى وأنا الأديب بضاعتي معروضة كبضائع الاسواق " .

" شوقي وحافظ " لا يجسُ سواكم نبض القريض وماله من واق
كما الخيار إذا الرجال تنافسوا أو حرّروا دعوى بلا مصداق
ان تقتلا أو تحرقا متشاعرا أو تقطعا يد شاعر سراق
هل تحكمان اليوم حكماً عادلا خلواً من الارهاب والاشفاق
في شاعر لزم البيوت وأخفت منه المآرب أيما إخفاق
لكما شكّا ظلم العراق ، وذلة أن يشتكي ظلم العراق عراقي (١٧)

وتشاء الأقدار ان تكون وفاة شاعري النيل الكبيرين (احمد شوقي وحافظ ابراهيم) في سنة واحدة، فأنشد قصيدة بحق حافظ ابراهيم أشار فيها الى إعجابه الشديد بجوانب من شعره وحياته (١٨) ، وقد ذكر حافظ ابراهيم في مذكراته بالقول انه " شاعر الشعب المصري الاول " (١٩) .

وقد خصّ الجواهري الشاعر الكبير احمد شوقي بقصيدة تأيئاً له نظمها عام ١٩٣٢ فيها أبيات رائعة واخرى معبرة تتناسب مع قدرة الراثي ومكانة المرثي الذي امتدحه وأشاد بذكائه وطول أناته وبعد نظره (٢٠) .

وللجواهري قصيدة اخرى بعنوان (المازني وداغر) أنشدها في شباط عام ١٩٣٦ في مدح الاديب واللغوي المصري أسعد داغر وزميله ابراهيم عبد القادر المازني (٢١) . كما امتدح الأديب المصري الشهير طه حسين (٢٢) .

مدحاً فخماً بقصيدة خاصة حملت اسمه " أحبيك طه " انشدها على هامش مشاركته في مهرجان الشعر العربي المقام في دمشق عام ١٩٤٤ بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الشاعر والفيلسوف العربي الكبير ابي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) وقد تضمنت دعوة الجواهري للأديب المصري المذكور لزيارة العراق ، وتشبيهه له بأبي العلاء قائلاً . يروي لقاءه إياه :

" وبينما كنت القي القصيدة كانت يدي اليمنى تمتد ، غفو الخاطر ، الى اليد اليسرى للدكتور طه حسين الذي كان بجانبني وهذا الرجل ليس (ابي العلاء) لكنه كان الوحيد ممن يجمع ما بين فكره وملاحمه شيئاً غير قليل من خصائصه وبما يتلاءم مع المرحلة التي نعيشها فضلاً عن انه كان في الطليعة من المعنيين به تناولاً وجمعاً واطروحة ... " (٢٣) . ويذكر إن طه حسين يعد من أعلام الفكر الانساني وأديب بارز من أدباء مصر في تاريخها الحديث والمعاصر. كاتب ومؤلف غزير الانتاج ترجمت آثاره الى عددٍ من اللغات الحية ونالت اعجاباً كبيراً . عُرف بشجاعته ونضاله من أجل الحرية ومقاومة الاستبداد ، وبقوة قلمه وفكره وبحوثه النقدية الرائدة ودراساته التاريخية الجريئة ، لكنه أتهم بسعيه الى هدم الكثير من المسلمات في

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

التاريخ الاسلامي والاعراف الاجتماعية المتوارثة ، ولم يسلم حتى الأزهر ومشيعته من هجومه اللاذع ونقده المر^(٢٤). ولعل ذلك ما قرّبه للجواهري الذي لم تسلم الفئة الشبيهة لها في العراق من مطرقات قصائده^(٢٥).

رابعا / دراسة في توجهات الجواهري ومواقفه تجاه الحركة الوطنية والتطورات السياسية في مصر :

عرف الجواهري بمواقفه الوطنية تجاه مصر منذ وقت مبكر ، إذ أيد الحركة الوطنية ودعاتها ومناصريها ، وقد انشغل الجواهري بما كان يدور في العالم العربي من تطورات سياسية واجتماعية شبيهة بما يجري في العراق ، لأن الشعوب العربية حينذاك كانت تسعى لتحقيق الاستقلال التام ، وترسيخ قيم الحرية والعدالة ، والعيش الكريم ، وليس للطبقات الحاكمة ومن يدور في فلكها فقط.

وهكذا تجدد في شعره أصداء قوية تجاه مصر ، ونضال شعبها ضد الاحتلال والهيمنة الاستعمارية^(٢٦). وشهدت مصر عدة ثورات قادتها شخصيات وطنية قدّر لها فيما بعد ان يصبح لها شأن كبير في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، وكان سعد زغلول^(٢٧) واحداً من القادة الوطنيين المصريين الذين احتفى بهم الجواهري وأقام اعتباراً كبيراً لأعمالهم الجليلة ونضالهم السياسي الطويل وتضحياتهم الجسام من أجل استقلال بلادهم ومواقفهم البطولية في مناهضة التسلط البريطاني عليها .

من المعروف أن سعد زغلول سياسي وطني مصري شهير ، اشترك في الثورة العراقية عام ١٨٨٢ وسجن بضعة أشهر عقب احتلال بريطانيا لمصر . عُيّن وزيراً للمعارف سنة ١٩٠٦ وللحقانية (العدل) عام ١٩١١ ، وفي عام ١٩١٣ أُنتخب نائباً في الجمعية التشريعية ، وفي عام ١٩١٩ اشترك في تمثيل مصر في مؤتمر الصلح في باريس وخدم القضية المصرية حتى وفاته عام ١٩٢٧^(٢٨).

وبعدها رثاه الجواهري بقصيدة كان عنوانها " دمعة على سعد " عام ١٩٢٧ :-

قم والتمس أثر الضريح الزاكي	وسل " الكنانة " كيف مات فتاك
أهرام مصر وقد بناك لغاية	" فرعون " ذو الأوتاد حين بناك
علموا بأن ستُداس مصر وما بها	حتى قبور المالكيـن سـواك
تاريخ مصر على يديك يعيده	من جانبيك صدى السنين الحاكي
زغلول " ضميه الى آبائه	وفؤاد مصر ضعيه في أحشاك
ماشي العراق بيومه فلطالما	تاريخه بسنينه ما شاك

وقد عرف عن الجواهري شجاعته ومواقفه الجريئة ضد نظام الحكم القائم في العراق منذ عهد مبكر ، ولا يتردد أحياناً في المجازفة حتى بمستقبله الوظيفي في مقابل عدم التخلي عن معارضته العنيدة لممارسات السلطة ورغبته الجارحة في التغيير وزوال الهيمنة الاجنبية وتنفيذ الاصلاحات الديمقراطية الضرورية . وهذا ما وجد تعبيراً له في زيارة بعثة الجامعة المصرية لبغداد عام ١٩٣١ وكان ذلك بعد

مصري في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

استقالته من البلاط الملكي بوصفه موظفاً في دائرة التشريفات واغلاق الحكومة جريدته " الفرات البغدادية " ؛ إذ أعد قصيدة وألقاها بالمناسبة كان ظاهرها الترحيب بوفد مصر والاشادة بتفوق أبنائها ومنجزاتهم الفكرية ، وحقيقة الأمر انه عبأها بشكوى مؤلمة بثها للوفد من واقع السلطة الحاكمة المحتكرة للعمل السياسي والمضطهدة للوطنيين المناهضين لسياستها ، وضمنها انتقاد لاذع للمسؤولين الرسميين وغيرهم الذين لا يتورعون عن محاباة مقربيههم وإثارة النعرات الحزبية والطائفية :-

وضع العراق خذوه من	عذبات أقلام أخر
ماذا أحدثكم حديث القلب	من جمر أحر
كل المسائل مرة	وسكوتنا عنها أمر
عن أي شيء تسألون	فكل شيء محتكر
تهتاجنا النعرات طما	ثشة وينجح من نعر
في كل حلق نغمة	ولكل أنملة وتر
تمشي سموم المغرضين	بسوحنا مشي الخدر
باسم البلاد يجل من	جر البلاد الى الخطر
ان السياسة لم تبق	على البلاد ولم تذر
وبرغم اننا قد تزعم	عندنا حتى البقر
فهنأ شباب ناهضون	عقوقهم إحدى الكبر (٢٣)

وقد شوهه الجواهري وهو يشكو فاقته وإبعاده الى البعثة المصرية عام ١٩٣١ اذ يوازن بين حاله وحال الشاعر المرفه احمد شوقي فيسأل أفراد البعثة :

شوقي يعيش كما يليق	بمن تفكر أو شعر
وسط القصص العمارات	وبين فائحة الزهر
أما هنا فالشعر شيء	للتملح يدخر
في كل زاوية أديب	بالخمبول قد استتر (٢٩)

وفي شعره نقمة واضحة على البلاط الملكي في العراق ، فملك مصر جعل من شوقي يعيش في قصور ذات جنان ، ولكن ملك العراق فيصل الأول حرم الجواهري من مورد رزقه الوحيد (جريدة الفرات) بعد أن أغلقتها حكومته فلم يتدخل (٣٠).

وفي الحرب العالمية الثانية حاول الالمان بالتعاون مع القوات الايطالية المحتلة في ليبيا أن يشنوا حملة عسكرية على مصر مستهدفة المصالح البريطانية فيها والحلول محلها هناك ، فأخذ أبناء العروبة يتابعون أخبار

مصري في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

المعارك بترقب شديد وخشية من وقوع أشقائهم المصريين في احتلال اجنبي بغرض آخر قد يكون أسوء من سابقه . لكن الرياح أتت بما لا تشتهي أهواء الغزاة الجدد وتعرضت القوات الألمانية وقائدها القدير (روميل) الى هزيمة منكرة أدت الى تقهقرها وتكبدت خسائر جسيمة في الارواح والمعدات والاسرى والاصابات ، فعبّر الشاعر عن سروره لهذه النتيجة فبعث بقصيدته هذه يُحيي فيها الشعبين التونسي والمصري جاء فيها :

حللت على "روميل" كرباً وقبلها	أحل بأدهى منه "ولنكتون"
تمنى عليه "ربّه" (❖) مصر منحةً	وكاد على "القطار" أن يُرضي
ومدّت له الاطماع في نزواته	الى أن غدت كلاً على نفسه
وداعبت الاسكندرية عينه	وخادع منه "النيل" في طميه
ولما التقى الجمعان غلب أشاوس	دهت مثلها شوساً مدججة
تفادى بـ "أرنيم" وفر بنفسه	وأبقى لك الاهل الاعزة
وأهداكم أسرى وقتلى كأنه ^(٢٦)	بهم يستميح العفو مما جنى

وقد تابع الجواهري القضية المصرية وتطوراتها السياسية بشغف بالغ ، فعلى أثر فوز " حزب الوفد " ^(٣١) في الانتخابات النيابية وتوليه حكم مصر عام ١٩٥٠ عبر عن فرحه الغامر وتأيده المطلق لتلك النتائج ، لأن الفائز فيها هو أحد أهم القوى الوطنية الفاعلة على الساحة المصرية ، والتي قدمت التضحيات الجسام من دماء أبنائها وسجن زعمائها وتشريدهم والتضييق عليهم في سبيل حرية وطنهم وتخليص شعبهم من وصاية الاجنبي وتحكمه بمصيرهم وثرواتهم الطبيعية . لذا فقد نظم قصيدته " سر في جهادك " التي تعد في نطاق الهموم القومية في شعر الجواهري يُحيي فيها حزب الوفد الذي هو في الحقيقة فوز للمصريين جميعاً وبيارك خطوته الجريئة بإلغاء المعاهدة المصرية – البريطانية ١٩٣٦ وسياسة حكومته الهادفة الى تقويض الهيمنة الغربية فيها الأمر الذي كان يعد مطلباً وطنياً ملحاً :

سر في جهادك تمشي خلفك أمة	هي بالطموح منيعة عصماء
عركت صروف الدهر لم تبطش بها	غمى . ولا طاشت بها نعماء
واستكملت عدد الجهاد فذاذة	شم الانوف ، وقادة أكفاء
وجزاهم خيراً جزوه بمثلـه	وطن أفاء ظلاله وأفأوا ^(٣٢)

وقد ناهزت أبياتها مائة واثنين وستين بيتاً من الشعر ^(٣٣) .

وعلى حد قول أحد الأدباء فإن قصيدة الجواهري " تمثل قمة التعاطف الروحي مع شعب مصر الشقيق ، حتى كأنك تحس ان الشاعر وهو يتحدث عن كفاح المصريين من أجل الحرية ، ومعاناتهم مع

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

المستعمر البريطاني ، انما هو مواطن من أبناء مصر اكتوى بنار السياسة الاستعمارية ، وخبر أساليب المستعمرين ومكرهم وخبثهم فراح يحذر زعيم بلاده من ألاعيبهم للإيقاع بالقوى الوطنية " (٣٤).

وقد أرفدها بقصيدة أخرى من "مصرياته" (٣٥) بعد مدة قصيرة بعنوان " الى الشعب المصري" وألقاها الجواهري في الحفل الذي أقامته الجامعة العربية في القاهرة احتفاءً بوفود الدول العربية ، التي هزّت المشاعر وسلبت الالباب بجودتها ورونق صياغتها . وقد لاقت استحسان الحكومة المصرية ووزارة المعارف والقائمين على الاحتفال لاسيما الأديب الشهير طه حسين (وزير المعارف ١٣ كانون الاول ١٩٥٠- ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢) الذي أبى الا ان يرتقي المنصة بعد انتهاء الشاعر من قصيدته ، وألقى خطاباً مرتجلاً مبدياً إعجابه الشديد بالجواهري ومثياً عليه وعلى الشعب العراقي الذي أنجبه (٣٦) .

يا "مصر" تستبق الدهور وتعرّض
والنيل يزخر والمسلّة تزهر
هذا الصعيد مشّت عليه مواكب
للدهر مُقلّة الخطى تتبخّر
يا مصر لم تبخس جمالك ريشة
مرّت عليه ، ولم يُخنك مصوّر
لله جوّك أي مبعث فتنة
حتى الطبيعة عنده تتمصّر
الليل عندك غير ما عُرِف الدجى
في أرض غيرك والصباح المُسفر (٣٧)

وقد أورد الجواهري في مذكراته أن سفرته الاولى الى مصر كانت تلبية لدعوة تلقاها من الدكتور طه حسين والمشاركة في مؤتمر المثقفين العرب عام ١٩٥١ ، وألقى فيه قصيدته المدوية عقبها طه حسين بخطاب عاطفٍ بالثناء والتقدير . يذكر ان العلاقة بين الرجلين كانت قد ترسخت منذ حضورهما مؤتمر المثقفين العرب وقبل ذلك مهرجان المعري في دمشق عندما صرح الجواهري ببيته الشهير:

لثورة الفكر تاريخٌ يحدثنا بأن ألف مسيحٍ دونها صلباً

فصاح طه حسين مستحسناً مستزيداً مهيباً بأبي فرات أن يعيد ويقول: بألف ألف مسيحٍ دونها صلباً! ثم ليتقدم منه معانقاً ومنادياً به خليفةً للمتنبّي العظيم .

ولم يستطع بعدها العودة الى العراق بسبب تعريضه فيها للحكومة العراقية شاجباً ومندداً (٣٨)، فبقي الشاعر مدة غير قصيرة ضيفاً على الحكومة المصرية اغتتمها في إقناع وزارة المعارف بتكفلها مسألة اكمال دراسة أولاده (أميرة - فرات - فلاح) على نفقة الدولة هناك وهو الامر الذي رحبت به الأخيرة وبالفعل فقد وجد في شخص طه حسين ضالته فوطد العزم على العودة الى مصر في السنة نفسها على امل ان يطيل اقامته فيها (٣٩) .

تشكلت القصيدة من مائة وتسع وثمانين بيتاً (٤٠) ، تطرق فيها الشاعر الى شجاعة الشعب المصري وتاريخه العريق ونضاله من اجل حريته وبناء مستقبله ، ونجح في الربط بينه وبين شقيقه الشعب العراقي ، ووضع الشاعر الكبير يده على الهم القومي المشترك الذي يربط بين الشعبين وهما يناضلان من أجل

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

الحرية والكرامة الوطنية ، وذكر الحضور بما في بلاد الرافدين من آلام وشجون ومعدمين يرزحون تحت وطأة الظلم والفقر والجهل بعد أن كانت حواضرهم غنية بالمعارف وتثير الدرب للمتعلمين (٤١) :

إنا وإياكم كما احتاجت ليد وإن كذب الدعاة وزوروا
إنا اذا أن الجريح بأرضكم ناغاه مجروح يئن ويزخر
وإذا استقى نخب الجهاد شهيدكم فله هناك مهلل ومكبر (٤٢)

وفي عام ١٩٥١ رأى الشاعر أن يهاجر الى مصر مرة أخرى حيث كانت سفرته الثانية ، وفكر الاستقرار وبشكل دائم نأياً بنفسه عن أجواء الاضطهاد وقمع الحريات السياسية التي طالت العراقيين آنذاك ، ولعله يجد فيها ملجأ من ظلم الحكومة العراقية التي عطلت صحيفته " الاوقات البغدادية " وضيق الخناق عليه لكنه لم يجد في مصر هذه المرة ما كان يرجوه من اكرام وترحيب فلم يطل به المقام هناك سوى بضعة أشهر فتركها نهاية العام نفسه غاضباً ، . وقرر العودة الى العراق بعد مدة قصيرة ولم يكن هذا فحسب بل عزم على هجاء مصر بقصيدة أريد منها ايقاظ الشعور الوطني ضد الحكومة والسلطة الحاكمة حذا فيها حذو قصيدة المتنبي في هجاء حاكمها (كافور) ، إلا انه لم يكتب منها سوى بيتين استجابة لرجاء الدكتور طه حسين ونزولاً عند رغبته قائلاً فيها (٤٣) :

ما انفك يا مصر والاذلال تعويد يسودك الخسف كافور وأخشيد (٤٤)

ولم يزل الشاعر يتربص الفرص لانتحاف مصر وشعبها بلاكئه الفاخر وتمجيد نضالها وأبنائها الفادين أوطانهم بالغالي والنفيس مؤكداً أن هناك استمرارية تاريخية بين الشعبين الشقيقين وخطاً ايدولوجياً متقارباً وميولاً ومشاعراً قد تكون متطابقة . ودعا الى الاقتداء بنضالها ومنجزات قادة حركتها الوطنية وتضحياتهم من أجل تحقيق مستقبل أفضل لبلادهم . وأكد ان العراقيين مستعدون للدفاع عن بلدهم الثاني مصر بكل ما أوتوا من قوة وامكانات (٤٥) .

سلام على مصر في أمسها مناراً لدى الغيب العاثر
تمرون منا بذكراكم مرور الحبيب على الخاطر
ونصركم بنيات القلوب وحسبكم ذاك من ناصر
دماً بدم نحضن الآصrat وبورك بالحاضن الآصر
سلوا الرافدين فكم أجريا الى النيل فيض الدم المائر
وكم نحن سرنا على هديكم هدى الركب بالكوكب السائر (٤٦)

ويبدو ان الجواهري في هذه المرة لاقى معاملة فظة من رجال المباحث المصرية في القاهرة الذين أجروا تعاوناً وتنسيقاً مع السفارة العراقية ومكتب التحقيقات الجنائية في العراق لوضع مراقبة لصيقة عليه وتقصي أخباره وتعقبه أينما حل وارتحل في طول مصر وعرضها ، خوفاً من احتمال تأثيره على مشاعر الناس

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

وتوجيه افكارهم بالوجهة المعارضة للحكومة . والواقع فأن وزير الداخلية المصري (فؤاد سراج الدين) كان موكل بمتابعة تحركاته وحذره شخصياً من التدخل في الشؤون السياسية والتأكد من عدم لقاء قصائده على الجماهير في الأماكن العامة^(٤٧). وكاد أمر ترحيله الى العراق يقع لولا توصية خاصة جاءت لتتقذه من طه حسين^(٤٨).

وفضلاً عن المضايقات ومكابدته للمشاكل المادية وعزّة نفسه وعدم حصوله على عمل في مصر ؛ فقد تواردت عليه الرسائل من الشخصيات الادبية والسياسية والصحفية في العراق تلح عليه بالعودة ، لذا فقد قرر الرجوع الى بلده بعد ستة أشهر قضاه في مصر^(٤٩).

وبعيداً عن تجاذبات السياسة وضغوطها فإن الجواهري لم يستطع مطلقاً أن يمر في مذكراته على العاصمة المصرية دون أن يبدي اعجابه الشديد بها ، وذكر ان الفاطميين اصابوا حين سموها (القاهرة) لأنها قاهرة حقاً ، لما تتمتع به من تاريخ طويل مفعم بالمنجزات الجميلة والاعمال الباهرة، منذ أن مدت سلطتها وعزّها ومجدها من المغرب الأقصى الى الشرق الأدنى. وفي رأي الجواهري فإن المرء بوسعه ادراك انها تلتقط عينات مختارة جميلة من حضارات العالم المختلفة لتجمعها في بوتقة واحدة ولتربط بين عهودها الغابرة وحاضرها المزدهر^(٥٠).

والأهم من هذا كله ان الجواهري يقدم في النص الآتي ذكره صورة طيبة ليس لمباني القاهرة وطبيعة مصر الخلافة بل لانبهاره بالشعب المصري وللانطباع الايجابي الذي تركه في نفسه ، فما علق بذاكرة الجواهري لم يكن ذلك الجانب "المزعج" من رحلته الثانية وحسب، بل تلك الإقامة الجميلة على شاطئ النيل وجلساته مع أصدقائه من العراقيين والمصريين أمثال روفائيل بطي ومهدي المخزومي وكامل الشناوي رئيس الأهرام آنذاك وغيرهم . كما يذكر الجواهري لقاءه بعبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية واتصال دار الكتب المصرية به وكيف عرضت عليه العمل في مراجعة وتحقيق بعض من مخطوطاتها القديمة، لكن إحساس الشاعر بالفتور -إن لم يكن العداء- الذي تتعامل به السلطات المصرية معه شرع بالتزايد حتى ضاقت به أرض الكنانة فقرر الرحيل عنها مستغلاً فرصة دعوة تلقاها لحضور مؤتمر السلام العالمي في فينا^(٥١) ، فكان دائماً يقول : " أريد رسم الصورة الصادقة والأمانة للشعب المصري الجميل والكريم والصابر والصامد والذي كان وهو على ما صورّه الاقدمون وما يزال حتى في نهاية هذا القرن لا تصرفه همومه ولا أثقال الحياة وأحوالها ولا حتى ما اختلفت عليه أنظمة الحكم من حسنٍ وأحسن ومن سيءٍ وأسوأ أن يُلطف من ذلك كله بحكم الفطرة وجمال الطبيعة وعمق الأحاسيس أن يُلطف من كل هذا وذاك بحب الحياة وأن يهدم بكل ما استطاع من أسوارها بضربات المرح والسهر والسمر والنكتة المازحة والجلسة الناعمة والجنس الناعم والى جانب هذا كله وبحكم عناصر القوة والقدرة على التكيف فهو من هو حين تحين الوثبة وحين تحين الثورة وحين يُطرح على المحك قدرة الشعوب على الدفاع عن نفسها

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

وكرامتها وتفجرها وانتفاضاتها . أجل أنا شاهد عادل وفي هذه الفترة ذات الشهور الستة التي عشتها وما أزال أجرّ من أذيان ذكرياتها شاهد عدل على جمال المفارقات وروعة التناقضات " (٥٢) .

وتعمّد الجواهري في هذه النقطة تحديداً أن يطلق كل ما لديه من مشاعر الحب والاعتزاز بحقيقة الشعب المصري وجوهره " لا بأنظمتيه ولا بحاكمه " فقد تمكن هذا الشعب بعد سنة واحدة من مغادرة الجواهري - حسبما يذكر هو - من الإطاحة " بنظام عريق " وإقامة نظام ثوري جديد ، وبعد عقدين من الزمن (حرب أكتوبر ١٩٧٣) استطاع عبور القناة وتحرير أرضه وتحطيم خط " بارليف " الذي أقامته إسرائيل .. " بل وتحطيم دولة إسرائيل كلها لو لم ينعكس القدر ، ولو لم يقف العالم وهو بين القوتين العظميين على أبواب حرب عالمية ثالثة " في إشارة واضحة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ حينما حررت مصر شبه جزيرة سيناء (٥٣) .

وخلال تواجده في القاهرة في سفرته الثانية اندلعت صدامات مسلحة بين المقاومة الشعبية والقوات العسكرية البريطانية المدافعة عن قواعدها في السويس والإسماعيلية . عند ذاك نظم الشاعر قصيدة ألهمت حماس الشباب المصري وحرّضته على مواصلة النضال والتضحية بأعز ما يملكون حتى وإن كان الدم الطاهر فهو وحده الكفيل بإزاحة كابوس الظلم الرابض على صدر بلادهم .

ويبدو للباحث ان هذه القصيدة الحماسية هي سبب خروج الشاعر من مصر بضغط قد تكون بريطانية :

قل للشباب بمصر والدنيا	لمن يُصغي تقولُ
هذا أوان الجولة الـ	كبرى تبارك من يقول
هل غير أن يغنى لتـ	سعد بعده الاجيال جيل؟
ولدى البطون الطـا	هرات عن الذي يمضي بديلُ
خوضوا دم المستعمر	ين فطالما خيضت وحول
وتصيّدوهم مثلما	صيدت لمتحرش وعول (٥٤)

وقد دلّت الوقائع بشكل لا يقبل الشك انه كانت لقصائد الجواهري وقعٌ مسموع ليس في الاوساط الثقافية فحسب بل على فئات الشعب كافة لأنها وجدت في الكثير من شعره أداة لفضح سياسات الانظمة العربية " الرجعية " وكشف حقيقة تواطئها مع الغرب وتقاعسها عن انتزاع حقوق شعوبها من بقايا الاستعمار وأذنا به . وكمثل على ذلك فقد أحدثت قصيدته : " باقٍ وأعمار الطغاة قصار ... من سفر مجدك عاطرٌ موار " ضجة كبيرة في مصر ، وعلى الرغم من ان الجواهري قد أنشدها في بيروت في حفل تأبين السياسي الكبير عبد الحميد كرامي عام ١٩٥٠ ، فإنها أحدثت عاصفة من التأييد والاحتجاج في

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

الوقت نفسه تأييداً لأفكار الجواهري و احتجاج على قيام الحكومة اللبنانية بطرده من الاراضي اللبنانية لاثامها إياه بالتحريض ضدها^(٥٥) .

وتفتحت قريحة الجواهري كغيره من شعراء النجف الاماجد على أثر العدوان الثلاثي على مصر في تشرين الثاني ١٩٥٦ . حيث كان مقيماً في دمشق يسمع أخبار العدوان ويتابع بفخر المقاومة الباسلة للشعب المصري ضد القوات الأجنبية الغازية . ومن يقرأ قصيدة " بور سعيد " التي حمل فيها على الغزاة وعنفهم بقوة يدرك ان الجواهري قد ساهم بقلمه ولسانه في الذود عن أرض مصر الى جانب بنادق أبنائها ودمائهم .

يا معدن الحسّة من تقاتل وفوق مَن تساقط القنابل ؟
أأصيذاً يذود عن أوطانه أم حرةً عن عرضها تناضل
" كنانة الله " سيجلو عاصفٌ ويمحي ضررٌ... ويُثني واغل
كم غاص في رمالك السمر غو غازٍ ... وكم ديست بهاجحافل
ذابوا وظلّ النيل يجري صاخباً^(٤٩) وظلّ منداحاً عليه الساحل^(٥٦)

ويمكن القول بأن المتبع لشعر الجواهري خلال تلك الفترة سيجده سجلاً حياً وكتاباً مفتوحاً لما مرت به البلاد العربية وحركة شعوبها نحو العدل والحرية^(٥٧) ، وقد كانت البلاد العربية في عقد الخمسينات تشهد تعاظم المد القومي ، وكانت مصر بزعامه جمال عبد الناصر تخوض اعلى معاركها الوطنية ضد الاستعمار والأنظمة العربية الموالية له ، لاسيما بعد توجه عبد الناصر لأجراء نهضة اقتصادية كبرى في مصر تمثلت بانشاء السد العالي وتأميمه شركة قناة السويس في ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ ، بهدف إعادة القناة بخيراتها الى الشعب الذي أسهم بحفرها ، فثارت حفيظة بريطانيا وفرنسا وبدأت تهدد مصر وتمخضت تهديداتهما بتنفيذ عدوانهما الثلاثي في ٢٩ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٥٦ بالتعاون مع (اسرائيل) فضربت المدن المصرية بواسطة طائرات بريطانية وفرنسية وإسرائيلية وقد تركزت المعركة على ميناء بورسعيد حيث قاتل أبناء بورسعيد والشعب المصري بكل قوة كما وقف العرب ودعاة الحرية والسلام الى جانب المصريين في محنتهم تلك^(٥٨) . لذلك فقد خلد الشاعر هذه الاحداث في قصائده العامرة لا سيما " بورسعيد " التي تناقلتها الصحف والإذاعات^(٥٩) .

وكان يجد في المناسبات الجماهيرية الكبيرة فرصة للإشادة بالرئيس جمال عبد الناصر بعد العدوان على مصر عام ١٩٥٦ ، ومثل ذلك ما كان في الحفل الحاشد الذي أقيم على ساحة الملعب البلدي بدمشق في نيسان عام ١٩٥٧ لاهياء ذكرى شهادة أحد ضباط الجيش السوري فقال يمتدح الجيوش العربية وعبد الناصر نفسه :

هنا يخلّق عملاقٌ على بردى وثمّ في مصر يحمي النيل جبارُ

مصري في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية

اسلم "جمال" لنا نسلم فقد عرفت بك الكرامة في الشرقين أمصار
جزيت عن أمة أنعشت تربتها كمـا جزيت سمحاء
كنفس الصبح عن "مصرية" في المهـد شبل قبيل الزار زئار^(٦٠).

وفي نكبة حزيران ١٩٦٧ توجه الجواهري الى الرئيس المصري جمال عبد الناصر في قصيدته " الخطوب الخلاقة " التي لم ينشدها الى أحد بعينه بل الى الشعوب العربية بأسرها ؛ إذ دعاه الى ان يصنع من تلك الهزيمة منطلقاً له الى النصر ، لأن من عادة الشدائد والأزمات النازلة بالبلاد أن تقوي عود الرجال وتطبعهم على تحمل المحن والكوارث والنكسات بشرط عدم الجزع والاستسلام للآلام والمثبطات . ومما قال فيها وهي ناهزت على الثمانين بيتاً :-

ويا "أبا خالد" إن يلتهب بفمي قول ، فأني لكل الثائرين فم
يا ناصر الأمة الكبرى وحاضنها لا العجب يملأ برديه ولا البرم
ويـا فتاهـا ويـا لا نال منك ولا من مجدك الهرم
ناشدتك العروة الوثقى بما بها الشعوب وما رضيت به الامم
انقذ فلسطين مردوداً على ذويـه ، ومركوزاً بها

تجيء تلك القصيدة بعد الاعتداء الإسرائيلي الغادر على كل من مصر وسوريا والأردن، إضافة الى الاراضي الفلسطينية غير المحتلة ، والذي استعدت له إسرائيل استعداداً كاملاً وخططت ووظفت كافة طاقاتها وإمكاناتها له . ونجم عنه احتلال سريع ومذهل لمساحات شاسعة من الأرض العربية ، شملت شبه جزيرة سيناء غرباً والضفة الغربية ومدينة القدس شرقاً وهضبة الجولان شمالاً^(٦٢) .

يقول أحد الأدباء المقربين للجواهري^(٦٣) عن الموضوع " كتب الجواهري عدة قصائد بلغت عدتها ما يقرب من ألف بيت من الشعر يخاطب فيها مصر الثقافة والادب ، ومصر المجاهدة من أجل الحرية ، ومصر حاملة مشعل التحرر العربي ، ... مع ذلك فإنه من قبيل العتب المشروع أن نقول أن الجواهري ليس معروفاً في مصر بالقدر الذي يتناسب وما قدمه لها من عطاء شعري ... " ^(٦٤).

ولم يخف الجواهري إعجابه بالرئيس المصري جمال عبد الناصر حتى بعد مماته ، فقد عدّه بطلاً من أبطال العروبة وأحد القلائل الجديرين بالتخليد في فكرها وذاكرتها . وقد كتب الشاعر بيتين في سجل التعزية الذي فتح في دار السفارة المصرية في براغ غداة وفاة جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ :

" أيها الفارس "

أيـا الفارس الذي غادر الحو مة عزلاء بعده والرجالا
عظم الخطب فيك غالب غلاً ب يعبي لكل خطب نزالا^(٦٥)

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

وفي الذكرى السنوية الاولى لوفاته دعت الحكومة المصرية للمشاركة في الاحتفال المعد بالمناسبة وقد لبى الدعوة فسافر من مهجره في العاصمة الجيكوسلوفاكية (براغ) الى القاهرة ليلقي قصيدته (ذكرى عبد الناصر) عام ١٩٧١ حيث كتب الجواهري مرة أخرى عن الزعيم الكبير، في ذكرى رحيله الأولى ، عصماء جديدة، لا ليرثي، إذ "الخالدون أحياء" كما يرى الجواهري في القصيدة المعنية، بل سجل مواقف وآراء في الحياة وفي حاضر الأمة، وآفاق مستقبلها:

لله صدرك ما أشد ظلوعه في شدة ، وأرقهن رُخاءً
تلج السياسة في تناقض حالها فتطابق العزمات والآراء
كرأ وإحجاماً ورقة جانب وصلابة وسلاسة ودهاء
ورأيت في "أسوان" قدرة ساحر يسعى ليوسع ميتاً أحياء^(٦٦)

وعلى الرغم مما بين الرجلين من اختلافات في التوجهات الفكرية السياسية الا ان ذلك لم يمنع الجواهري من أن يُثني على عبد الناصر ويظهر له احترامه وتقديره لمواقفه المشرفة في نصرة الشعوب المقهورة وإيقاظه الضمير الانساني ضد الاستعمار والاستكبار العالمي .

الخاتمة

وبعد تفحص لنتاجات الجواهري الشعرية يمكن لنا القول انه أنشد إحدى عشر قصيدة عن مصر وشخصياتها الأدبية والسياسية ، بلغ إجمالي أبياتها ثمانمائة وخمس وثلاثون بيتاً من الشعر^(٦٧) . تدل بكل معانيها أن مصر كانت حاضرة في ذهن الجواهري ومزاجه وانفعالاته وردود أفعاله ، مقاتلاً في الكثير من الأحياء ضد مستعمرها ومستبديها وسارقي قوت شعبها الأبي ، فكان شاهداً وحاضراً لدى ذاكرة جيل كامل من المصريين لا سيما مثقفيهم وشعرائهم .

وأثبت أنه ذلك الشاعر العراقي العملاق الخارج من أزقة النجف الأشرف ومجالسها الادبية ذات الموروث العريق والتقاليد الصارمة والفقهاء العظام ، منطلقاً ليخلق في الأفق الواسع نحو عواصم الدنيا العربية والأجنبية ... نحو القاهرة الذهبية ، وعلى الرغم من انه رحيل متقطع الجسد لكنه متواصل الروح والفكر والطموح . فقد كان يُبحر في ثنايا أحداثها وقلب معاناة أهلها ، تفيض منه الألوان كقوس قزح في سمائها لتتراقص بعذوبة ورقة متميزة . وبنى الجواهري علاقات وطيدة مع أدباء مصر ونخبها المثقفة بما امتلك من عبقرية شعرية ممزوجة بحس سياسي وطني متفرد وله آراء عن مصر نقول عنها ببساطة متناهية كانت عميقة وصائبة ومستشرفة المستقبل . وقد عاشت بين حنايا ضميره لعقود من القرن العشرين وما فيها من تداعيات سياسية وتيارات فكرية ، ومعها يرسخ الجواهري بقصائده عن مصر التي ذاع صيتها في البلاد وخارجها، مع كل ما رافقها من مواقف واجتهادات ورؤى متباينة في الخاص والعام ... ولا نظن ان ثمة

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

أفضل من يوثق لإبداع وتاريخ الشاعر الكبير في تلك السنوات التي أردنا اشاعة جوانب من خلاصاتها ،
والتوثيق لها ، سوى قصائده ذاتها ، الوجدانية منها ، أو الوطنية وغيرها ...

ملخص بحث

احتل الجواهري بقوة شخصيته وروعة شعره مكانة مرموقة بين الشعراء العرب اجمع في التاريخ الحديث والمعاصر وفي صفوف الحركة الوطنية وقد كانت له رغبة كبيرة في الوقوف الى جانب الاقطار العربية التي مازالت تأن تحت وطأة الهيمنة الاستعمارية او الخاضعة لأنظمة "رجعية استبدادية" وفي مقدمتها مصر ، اذ شكلت تلك القضايا منطلقاً خصباً لنظم قصائده وكان يذكر ذلك بكل فخر واعتزاز في مذكراته ، وقد تحولت مصر بما تمتلكه من تاريخ مجيد ومنجزات وفيرة في مضمار الحضارة الانسانية الى مصدر الهام خصب للجواهري ومعيناً لا ينضب لقصائده الغرر ومجموعاته الشعرية منذ فترة مبكرة من دخوله ميدان هذا الفن .

لذا فقد شكل ذلك دافعاً أساسياً لدراسة هذا الجانب المهم من شعره وحياته الحافلة بالاحداث .
وقسم البحث الى أربعة مباحث ، تناول الاول منها لمحات موجزة من سيرة الشاعر الشخصية وأبرز المحطات التي مر بها ، فيما درس الثاني اهتماماته الاولى بقضايا مصر ، فيما ركز الثالث على ما أفردته الجواهري من شعر لأدباء مصر ومفكرها ، وخصص المبحث الاخير لدراسة توجهات الجواهري ومواقفه تجاه الحركة الوطنية والتطورات السياسية في مصر . وقد اعتمد الباحثان على عدد من المصادر يأتي في مقدمتها ديوانه ذي الاجزاء السبعة ، ومذكراته المتكونة من جزئين فضلاً عن بعض الكتب الادبية والتاريخية لا سيما كتاب : الجواهري صناجة الشعر العربي في القرن العشرين .

Abstract

Occupied the jeweler strongly character and splendor of his hair prestige among Arab poets gather in the history of modern and contemporary art in the ranks of the national movement has had a great desire to stand by the Arab countries, which are still tan under colonial domination or controlled systems "reactionary authoritarian", especially Egypt, as formed these issues springboard fertile ground for organized his poems was mention it with pride in his memoirs, has been transformed Egypt, including holdings of glorious history and achievements and abundant in the field of human civilization to inspire Khasab lapidary and certain to Aanill for his poems ambiguity and collections poetry since the early period of entering the field of this art.

Therefore form an essential motivation for the study of this important aspect of his hair and his eventful life. And Research Department to four topics, taking the first of them to profiles of the biography of the poet personal and the most prominent stations that passed by, while he studied the second concerns the first issues of Egypt, while focused third on what Avrddh jeweler of hair literati Egypt and thinkers, and devoted

مصري في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

Section latter to study trends jeweler and attitudes toward National Movement and the political developments in Egypt. The researchers relied on a number of sources in the forefront of his collection comes with parts seven, and his memoirs, consisting of two parts, as well as some literary and historical books, especially the book: jeweler Snagh the Arabic poetry in the twentieth century.

هوامش البحث

- (١) رفع المساهم ، الجواهري في العيون من اشعاره ، الطبعة ٤ ، دمشق ، دار طلاس ، ١٩٩٨ ، ص ٣٣ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ص ٣٤-٣٥ .
- (٣) سليمان جبران ، مجمع الاضداد دراسة في سيرة الجواهري وشعره ، بيروت ، دار الأضواء ، ١٩٩٨ ، ص ص ٢٢-٤٨ .
- (٤) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ، ج١ ، بيروت ، دار المنتظر ، ١٩٩٩ ، ص ٢٥١ .
- (٥) جريدة المدى ، العدد ٢٨٠١ ، الاثنين ٢٠ آيار ٢٠١٣
- (٦) من بين اهم الطروحات والاراء الفكرية والسياسية التي تطرق اليها الجواهري خلال فترة وجوده نائباً في المجلس النيابي العراقي هو تأكيده على القضية الفلسطينية ، وسخريته من قرارات الجامعة العربية ومواقفها ابان القضية العربية المصرية ، ولا بد من ايضاح ما يحاك على العرب من مؤامرات وخطط سرية دون علمهم . للمزيد من التفاصيل ينظر : جريدة المدى ، العدد السابق
- (٧) سليمان جبران ، المصدر السابق ، ص ص ٥١-٦١ ؛ ينظر أيضاً : زاهد محمد زهدي ، الجواهري صناجة الشعر العربي في القرن العشرين ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٩٩ ، ص ص ٨٦-٩٩ .
- (٨) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ... ، ج١ ، ص ٤٢٩ .
- (٩) في نظر عدد من الباحثين العراقيين فأ ن ساطع الحصري نفسه متهم بالطائفية والمذهبية ، كما أنه امتداد للمدرسة التركية البريطانية في العراق بعد الاستقلال ، ويرجعون استثناء الطائفية في العراق إلي الدور السلبي الذي لعبه الحصري . ينظر: حسن العلوي ، التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي ، لندن ١٩٨٨ .
- (١٠) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ... ، ج١ ، ص ص ٣٢٨-٣٢٩ .
- (١١) للتفاصيل عن حركة اليقظة العربية في مراحلها المبكرة ومؤثراتها الأولية والظروف المحلية والدولية المحيطة بها ينظر : سليمان موسى ، الحركة العربية .. المراحل الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤ ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ٢٠٠٢ .
- (١٢) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ... ، ج١ ، ص ١٢٤ و ص ٤٠٩ .
- (١٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٠٨ .
- (١٤) يعد احمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢) في الطليعة اذا ما عد شعراء العرب والمسلمين في العصر الحديث . ينظر : محمد سعيد الدغلي ، الافذاذ : أمير الشعراء احمد شوقي ١٨٦٨ - ١٩٣٢ دراسة معاصرة - عرض وتحليل لمعظم قصائده ، دمشق ، دار التقدم ، ١٩٩٧ ، ص ص ١٨ - ٢٥ .

مصري في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

(١٥) حافظ ابراهيم (١٨٧٢-١٩٣٢) شاعر وأديب مصري كبير ، عمل في دار الكتب المصرية ، وأسدى الى فن اللغة والادب خدمات جليلة ، عُرف بشاعريته الفياضة وحسّه المرهف ، وكان ممن يدعمون الحكومة الوطنية الائتلافية الى رأس مجلس نوابها سعد زغلول . ينظر : عبد الحميد سند الجندي ، حافظ ابراهيم شاعر النيل ، ط ٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ، ص ص ٤٢ - ٥٤ .

(١٦) للتفاصيل عن ظهور الإرهاصات الأولى للفكر القومي العربي لدى المفكرين المصريين ينظر : ألبرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩ ، بيروت ، دار النهار ، ١٩٦٨ ، ص ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(١٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(١٨) زاهد محمد زهدي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(١٩) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ... ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٢٠) زاهد محمد زهدي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٢١) ديوان الجواهري ، ج ٢ ، ص ص ٢٨٧-٢٩٠ .

(٢٢) ولد طه حسين في سنة ١٨٨٩ بمحافظة المنيا في مصر . ضاع بصره في السادسة من عمره ، وحفظ القرآن الكريم قبل أن يغادر قريته إلى الأزهر ، وتلمذ على الإمام محمد عبده . وانتقل إلى الجامعة المصرية التي حصل منها على درجة الدكتوراه الأولى في الآداب سنة ١٩١٤ وسافر إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه الفرنسية . عاد من فرنسا سنة ١٩١٩ بعد أن فرغ من رسالته عن ابن خلدون ، وعمل أستاذاً للتاريخ اليوناني والروماني إلى سنة ١٩٢٥ حيث تم تعيينه أستاذاً في قسم اللغة العربية ، وأصبح عميداً لكلية الآداب سنة 1930 ، وعُين وزيراً للمعارف في الوزارة الوفدية سنة ١٩٥٠ . وظل طه حسين على جذريته بعد أن انصرف إلى الإنتاج الفكري ، وظل يكتب في عهد الثورة المصرية ، إلى أن توفي عبد الناصر وقامت حرب أكتوبر التي توفي بعد قيامها في الشهر نفسه سنة ١٩٧٣ . للتفاصيل ينظر : شبكة المعلومات الدولية : ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة - ويكيبيديا -

Ar.Wikipedia.org / Wiki

(٢٣) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ... ، ج ١ ، ص ٤١٨ .

(٢٤) جمال الدين الالوسي ، طه حسين بين انتصاره وخصومه ، بغداد ، مطبعة دار الارشاد ، ١٩٧٣ ، ص ص ١٢-١٩ .

(٢٥) وليس ببعيد أنه كان معجباً بمشروع (طه) الثقافي النهضوي العلماني أو بمنهجه الوضعي الذي اعتمده في أبحاثه الادبية حتى أصبح من الكتاب العرب المؤثرين في عقول الاجيال المعاصرة ، الذين يعتنقون نمطاً علمياً في التفكير استهدف تحرير العقل من الاسلوب التقليدي في النقد ودراسة الادب العربي وتراثه . عن جهود طه حسين الثقافية في مجال العلمنة ينظر: محمد كامل ظاهر ، الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، دار البيروني ، ١٩٩٤ ، ص ص ٢٢٦-٢٧٥ .

(٢٦) ابراهيم العاتي ، الجواهري مرآة شعب وتاريخ أمة ، شبكة النبا المعلوماتية ،

www.annabaa.org

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

(٢٧) سعد زغلول: ولد في ابيانة عام ١٨٦٠، وتعلم في كُتّاب القرية، ثم في الجامع الأزهر، ونال ليسانس الحقوق حين كان مستشاراً بالاستئناف، اشترك في الثورة العربية عام ١٨٨٢، وسُجن بضعة أشهر عقب احتلال بريطانيا لمصر، في سنة ١٨٨٤ مارس المحاماة، عُيّن وزيراً للمعارف سنة ١٩٠٦ وللحقّانية (العدل) عام ١٩١١، وفي عام ١٩١٣ أُختير نائباً في دائرتي بولاق والسيدة زينب في انتخابات الجمعية التشريعية، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ذهب مع اثنين من زملائه في الجمعية التشريعية، لمقابلة المندوب السامي البريطاني، طالبين السماح لهم بالسفر الى باريس، لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح، توفي عام ١٩٢٧. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ص ٩٨١.

(٢٨) عبد الخالق لاشين، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية، بيروت، دار العودة، ١٩٧٥، ص ص ١١ - ٣٢.

(٢٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣.

(٣٠) محمد حسين الاعرجي، الجواهري دراسة ووثائق، دمشق، دار المدى، ٢٠٠٢، ص ص ١٠٩-١١٠

(٣١) تشكل الوفد المصري في أواخر الحرب العالمية الاولى من أربعة عشر عضواً منهم (سعد زغلول "ت ١٩٢٧" وعلي شعراوي واسماعيل صدقي) لعرض مطالب الشعب المصري على بريطانيا وتمثيل مصر في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩، وقد أصبح فيما بعد تنظيماً وطنياً طليعياً تحول الى حزب سياسي جماهيري يرأسه مصطفى النحاس (خليفة زغلول). لاسيما بعد أن حصل لنفسه على المشروعية ليس من جانب الهيئات التمثيلية والنيابية المصرية، وجماهير الشعب فحسب بل كذلك من جانب الحكومة المصرية ذاتها. ينظر: محمد عبد الرحمن سعيد، نضال الشعب المصري ١٧٩٨-١٩٥٦، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص ص ٣٦٠-٣٦٣.

(٣٢) ديوان الجواهري، ج ٤، ص ١٢.

(٣٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ص ٩-٢٢؛ زاهد محمد زهدي، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(٣٤) زاهد محمد زهدي، المصدر السابق، ص ٣٠٦.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٣٦) شهدي عطية الشافعي، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٨٨٢-١٩٥٦، القاهرة، ١٩٥٧، ص ص ١٥١-١٥٦.

(٣٧) ديوان الجواهري، ج ٤، ص ٢٣.

(٣٨) سليمان جبران، المصدر السابق، ص ص ٥٤-٥٥.

(٣٩) محمد مهدي الجواهري، مذكراتي، دمشق، دار المجتبى، ١٩٨٨، ص ٩١.

(٤٠) ديوان الجواهري، ج ٤، ص ص ٢٥-٣٦.

(٤١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ص ٢٨-٢٩.

(٤٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٨.

(٤٣) ديوان الجواهري، ج ٤، ص ص ٨١-٨٦.

(٤٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ص ٨٩-١٠١.

(٤٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٩٦.

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

(٤٦) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ... ، ص ص ٩٣ - ١٠٠ .

(٤٧) يتحدث الجواهري في مذكراته بشي من التفصيل عن هذه الرحلة الثانية ومفاراتها: فما أن حطَّ الشاعر رحاله في القاهرة حتى فوجئ بأمر استدعاء (سمِّه إلقاء قبض) لم ينقذه منه إلا توسط طه حسين ومساعدة ضابطٍ وطني شاب أثنى عليه الجواهري ولم يذكره بالاسم. ثم تبين أن سبب هذا الاستدعاء عثور السلطات المصرية في أمتعة الجواهري على لوحة أهداها إياه بعض معجبيه من فناني سوريا تمثل حمامة السلام الشهيرة وهي في تلك الأيام رمزٌ تحريبي مخيف عند ولادة الأمر وسلاطين العالم العربي وشيئاً فشيئاً يكشف الجواهري أن السلطات المصرية قلبت له ظهر المحن وأخذت تضيق به وبإقامته وبنشاطات ابنه الأكبر فرات الذي شرعت الشكوك تحوم حول نشاطه في الحزب الشيوعي المصري ، وكان بطل هذه المضايقات الخفية الوزير فؤاد سراج الدين . ينظر : محمد مهدي الجواهري ، ذكرياتي ، ج ٢ ، دار الرافدين ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٩٩ .

(٤٨) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ،، ص ١٠١ .

(٤٩) وكان الجواهري في كل ذلك لا يكف عن نصرة مصر وشد أزرها ولا يذكر مصر وشعبها إلا بكل خيرٍ ومحبة، لكن العجب العجيب أن يظل الشاعر ممنوعاً من دخول مصر بقرار سري منذ عام ١٩٥٢ وحتى وفاة جمال عبد الناصر أوائل السبعينات حين زارها وألقى قصيدته الشهيرة في تأيينه، أما أسباب ذلك المنع فلم يشر إليها الجواهري في مذكراته وبقيت مادة للتكهن والتخمين . ينظر المصدر نفسه ، ص ص ٩٨-٩٩

(٥٠) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ،، ص ٩٩ .

(٥١) محمد مهدي الجواهري ، ذكرياتي ،، ص ٩٩

(٥٢) محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ،، ص ص ٩٨-٩٩ .

(٥٣) ديوان الجواهري، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٧ .

(٥٥) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ص ٢٥٣-٢٥٤ .

(٥٦) زكي البحيري ، تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار نهضة الشرق ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٨ .

(٥٧) ابراهيم العاتي ، المصدر السابق

(٥٨) سليمان جبران ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٥٩) ديوان الجواهري ، ج ٤ ، ص ص ٢٦٨-٢٦٩ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٥ .

(٦١) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٥٤ .

(٦٢) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ص ٢٥٤-٢٥٥ .

(٦٣) صالح صائب الجبوري ، محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية ، بيروت ، مطابع دار الكتب ، ١٩٧٠ ، ص ص

٤٤٩-٤٧٩ .

مصر في شعر الجواهري ومذكراته دراسة تاريخية.....

- (٦٤) وقد يعود ذلك الى ما تمتعت به مصر من وجود عدد كبير من فطاحل شعراء العربية الذين طبقت شهرتهم الآفاق . كما أن الانظمة المصرية المتعاقبة قد تعمدت قطع تواصل الشعب المصري مع شاعر وطني أصيل يثير حماسهم الوطنية وينبه أذهانهم الى وجوب التخلص من طغاتهم .
- (٦٥) زاهد محمد زهدي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٠٤-٣٠٥ .
- (٦٦) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .